مصطفى غالب ومنهجه في كتابة التاريخ الاسماعيلي والفاطمي

د. حيدر جابر عبد الربيعي

وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الاولى

مصطفى غالب ومنهجه في كتابة التاريخ الاسماعيلي والفاطمي

د. حيدر جابر عبد الربيعي

ملخص:

طبيعة الدراسة تعطي صورة سريعة لحياة شخصية فكرية قدمت الكثير من العطاء في مجال التصنيف والتحقيق بالتاريخ الاسماعيلي والفاطمي فضلا عن البحث والاستقصاء . حياة مصطفى غالب و نتاجه العلمي لا تغطيه هذه الدراسة بقدر ما هي دراسة تعريفية لهذا العالم الجليل فضلا عن التعرف على جوانب من منهجيته في حقلي التصنيف والتحقيق، فمصطفى غالب مؤرخ و محقق تميز نتاجه بالموضوعية والرصانة العلمية وتتبعه الواسع وإطلاعه على احداث التاريخ الاسماعيلي والفاطمي(٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م) الإسماعيلية فرقة من فرق التشيع الكبرى سميت بالإسماعيلية لانتسابها الى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، جاءت بالدولة الفاطمية الى الحكم لأكثر من قرنين ونصف خلال المرحلة التمهيدية المغربية أولاً ثم المرحلة المصرية ثانياً. وانتشرت بدعواها، وأصبحت عقائدياً فرقة كبرى تنافس الفرق الموجود وتحكم دولة، وبعد زوال الدولة الفاطمية بقيت الفرقة الى يومنا هذا بالهند وسوريا ولبنان واليمن وايران. دون ان يتأثر بالعوامل السياسية الضاغطة بل يدرج الاحداث بتناسق وبحرفية عالية ميزته عن أقرانه.

الكلمات الافتتاحية: مصطفى غالب الاسماعيلية المنهجية المخطوطات

Mustafa Ghalib and his efforts in writing Ismaili and Fatimid history Manuscripts

Dr.. Haider Jaber Abdel Rubaie
Ministry of Education
First Rusafa Education Directorate

Abstract

The nature of the study gives a quick picture of the life of an intellectual figure who made many contributions in the field of classification and investigation of Ismaili and Fatimid history, as well as research and investigation. The life of Mustafa Ghalib and his scientific productions are not covered by this study as much as it is an introductory study of this great scholar in addition to identifying aspects of his methodology in the fields of classification and investigation. Mustafa Ghalib is a historian and investigator whose work is distinguished by objectivity, scientific sobriety, and his extensive knowledge, and he follows the events of Ismaili and Fatimid history without being influenced. Despite the pressing political factors, he lists the events in a coherent manner with high

professionalism, which distinguishes him from his peers. Opening words: Mustafa Ghaleb Ismaili Methodism

المقدمة

يعتبر التاريخ الاسماعيلي الفاطمي و (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م) من المراحل المهمة التي عنيت باهتمام المؤرخين المتقدمين والمتأخرين ويعد مصطفى غالب في مقدمة المؤرخين السوريين المحدثين والذي قدم نتاجاً علمياً متنوعاً ما بين التأليف والتحقيق وهذا ما دفعنا لبيان نتاجه العلمي ومنهجيته التاريخية وتسليط الضوء عليها، فضلاً عن ذلك ان من اهم العوامل التي مكنته من الابداع الفكري ايمانه بالتحليل والنقد والتمحيص بالنص التاريخي الاسماعيلي والفاطمي وهذا ما دفعه إلى استنتاجات دقيقة ومقدرة عالية بالتأليف والتحقيق وضبط النصوص وتشذيبها من الخلل للوصول إلى النتائج العلمية الرصينة.

توضح الدراسة حجم تأثير كتب مصطفى غالب منهجيته العلمية بتدوين التاريخ الاسماعيلي الفاطمي فضلا عن اضافاته الخاصة حول المعتقد الإسماعيلي فلسفته الفكرية والتي قادة دولة واسعة الاطراف استمرت (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)

المبحث الأول

بيئته الثقافية والاجتماعية

أسمه ونسبه :

ولد مصطفى غالب بن المير سليم والسيدة تمانية الامير مصطفى سعد في قرية البري الشرقي من قضاء مدينة سلمية في سوريا عام ١٩٢٣ لأسرة اسماعيلية نزارية من اتباع قاسم شاه (دفتري، ٢٠١٣، صفحة ١٦٩) ثم امضى طفولته فيها ونهل من معارفها (غالب، د.ت، صفحة ١٧) (عزوز، ٢٠١٦، صفحة ٢) (فرحات، ١٩٨١، صفحة ٧) .

نشأته :

ادرك اولى مبادئ الحكمة ومعارفها على يد والده المير سليم فسار على طريق الحقيقة العرفانية متأثر بأرشاداته فضلاً عن ذلك كان لمدينة سلمية* (المهلبي، ٢٠٠٦، صفحة ٩٤) (ابن خرداذبة، ١٩٩٩، صفحة ٩٠٤) (ياقوت الحموي، د.ت، صفحة ٢٣٥)

* سلمية : مدينة على ضفة برية كثيرة بالمياه والشجر رضية خصبة وهي متوسطة ومحطة هامة على الطريق بين الرقة ودمشق وتبلغ من الرقة إلى دمشق اربعة وعشرون ميلا .

التي ترعرع فيها الأثر الكبير في نضج مداركه وتوسيع ثقافته الفلسفية الدينية وميله الشديد للبحث والتحري والتنقيب عن المصادر والمراجع، ورغبته للحصول على المخطوطات القديمة.

فمدينة سلمية تعتبر المركز الرئيسي للدعوة الاسماعيلية والمكان الذي استقر فيه عبد الله بن اسماعيل (احمد الوفي) * (غالب م.، ١٩٦٥، صفحة ١٥٠) حيث اتخذها مقر لامامته ومركزاً رئيسياً لدعوته يرسل منها الدعاة إلى الأقاليم المختلفة لنشر الدعوة (البهروجي، ١٩٥٨، صفحة ٢٣٥) (منصور، ١٩٨٤، صفحة ٤٠)

سيرته العلمية :

بدأت مسيرته الدراسية في مدارس سلمية ثم مدرسة الروم الأرثوذكس في حمص (١٩٣٧-١٩٤٠) وبعدها تطوع في الجيش السوري ١٩٤٠-١٩٥٠، وبعدها ذهب إلى القاهرة ١٩٥١ لينال شهادة الدبلوم في الصحافة عمل كمراسل كصحيفة الحقائق ومحرر لصحف لبنانية ١٩٤٤ ، وعند لقاءه مع الامام سلطان محمد خلال زيارته لسورية ١٩٥٢ صدر له كتاب انما خان من سوريا ثم افتتح مكتب اخوان الصفاء للدعاية والنشر ١٩٥٢ ثم اصدر العدد الأول من مجلة الغدير ١٩٥٥ ثم حاز على عضوية الجمعية الملكية الاسيوية البريطانية للدراسات الاسلامية ١٩٥٧ ومن جامعة كراتشي حصل على شهادة العلامة المعادلة للدكتورة عن كتابه (في رحاب اخوان الصفا) عام ١٩٦٨ ومن جامعة (مالمو في السويد) حاز على شهادة الدكتوراه الفخرية بالفلسفة بعد مشاركته بعدة محاضرات حول الاسماعيلية كمحاضر زائر ١٩٦٨ ومن الجامعة الاهلية الكندية نال شهادة الدكتوراه عن مجموعة اعماله في (فلسفة التاريخ والأدب) سنة ١٩٦٩ ثم شارك بعدة مؤتمرات تتعلق

* ولد الامام عبد الله بن الامام محمد بن اسماعيل الملقب (بالوفي) سنة ١٧٩هـ في مدينة عسكر مكرم خوزستان(الاحواز) ، وأمه الأميرة فاطمة ابنة الامير ابي منصر تولى الامامة بعد وفاة ابيه سنة ١٩٣هـ، وهناك تزوج بامرأة من الاسرة العلوية والدها الامير علي الله الهمذاني ، فرزق منها ولداً لقبه (محمد التقي) .. ثم خرج سراً من عسكر مكرم الى(زامهر) ومنها الى الديلم وبعد ملاحقة المأمون العباسي له انتقل الى معرة النعمان في سوريا ثم مر إلى سلمية عام ١٩٤ بصحبة رجال الدعوة الاسماعيلية الافذاذ.

بالإسماعيلية وعقائدها ١٩٧٠ في الجمعية العالمية للأبحاث العلمية والاستشراقية في زيورخ ودوسلدورف عندما انتدب كعضو شرف عمل كأستاذ محاضر في الجامعة الامريكية في بيروت والجامعة اللبنانية والجامعة العربية) حول فلسفة التاريخ الاسلامي وعقائد الاسماعيلية ١٩٧٠-١٩٧٧ (غالب غ.، د.ت، صفحة ٢٠) (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٧، صفحة ١٥٦).

بدأ مسيرته في سلمية منذ نعومة اظافره متأُثر بوالده غالب المير سليم، الذي تلقى منه أولى مبادئ الحكمة والمعرفة فوالده كان عضواً بالمجلس الأعلى الاسماعيلي والذي يعني بالحركة الثقافية، فقد ضم المجلس كل مقومات الباحث والمفكر حيث احتوى المجلس على مكتبة تضم العديد من الكتب والمراجع والمخطوطات في كل العلوم والاختصاصات سواء الاسماعيلية أو العامة تأسست عام ١٩٦٤ فضلاً عن بناء المدارس الابتدائية والثانوية فسلمية مدينة العلم والثقافة (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٧، صفحة ١٤٤).

فكان لها الأثر في تنفجر طاقاته الابداعية والفكرية فقد أسس أول مكتب ثقافي في سلمية واسماه (مكتب اخوان الصفا) * (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٧، صفحة ١١٨) عام ١٩٥١ فضلاً عن تأسيسه مع مجموعة من المثقفين في تأسيس أول نادي ثقافي واسماه (نادي ابن هاني الاندلسي فضلاً عن مشاركته في تأسيس مجموعة من النوادي الثقافية الفكرية) (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٧، صفحة ١١٨) (امين، ١٩٨٣، صفحة ٧٧).

نتاجه العلمي :

قدم الدكتور مصطفى غالب للمكتبة الاسلامية عامة والمكتبة الاسماعيلية خاصة عدد كبير من مؤلفاته وعدد اكبر من المخطوطات الاصيلة والتي كتبت بالمدن التي كانت تابعة للدولة الفاطمية كمصر واليمن وايران وسوريا. بأيدي دعاة الإسماعيلية وفلاسفتهم وتنقسم مؤلفاته الى قسمين قسم يخص الإسماعيلية وقسم يشمل كتب عامة.

المصنفات الإسماعيلية :

* أول مكتب ثقافي تأسس في سلمية من قبل مصطفى غالب واسماعيل المير سليمان وعارف ثامر على شاهين، أستطاع من استقطاب العديد من الشباب والمهتمين بالعلم والثقافة فضلاً عن القاء المحاضرات الثقافية، تنشر كتيبات توعوية تاريخية واسماعيلية.

١-اغا خان في سوريا كتاب الفه عند زيارة الامام اغا خان لسوريا طبع في سلمية سنة ١٩٥٢.

٢-كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية وهو كتاب يتحدث فيه عن كل ما يخص الفرقة الإسماعيلية منذ البدء إلى وقت تأليفه طبع في دمشق دار اليقظة سنة ١٩٦٣.

٣-كتاب اعلام اسماعيلية وهو كتاب اشبه ما يكون فهرسة عام شامل لكل علم من اعلام الاسماعيلية طبع في دمشق دار اليقظة عام ١٩٦٤.

٤-كتاب الثائر الحميري الحسن بن الصباح طبع في بيروت دار الأندلس سنة ١٩٦٦.

٥-كتاب الحركات الباطنية في الاسلام طبع في بيروت دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٦ (غالب غ.، د.ت، صفحة ٣١) (فرحات، ١٩٨١، صفحة ٧).

٦-كتاب سنان راشد الدين طبع في بيروت دار حمد للطباعة سنة ١٩٦٦.

٧-كتاب في رحاب اخوان الصفاء طبع في بيروت دار حمد سنة ١٩٦٨.

٨-كتاب الاسماعيلية في سوريا طبع في بيروت بالانكليزي سنة ١٩٧٠.

٩-كتاب الامام وقيام القيامة طبع في بيروت دار الهلال سنة ١٩٨١.

١٠- كتاب القرامطة بين المد والجزر طبع في بيروت دار الاندلس سنة ١٩٧٩.

١١- كتاب مفاتيح المعرفة طبعة بيروت دار عز الدين سنة ١٩٨٢ (غالب غ.، د.ت، صفحة ٣٣).

يتبين ان الدكتور مصطفى غالب كان بارع في ابراز الحقائق العرفانية وتبيانها بأسلوب سهل يستطيع عامة الناس من فهمها والدخول إلى حيثياتها بسلاسة ويعد ما اثبته مصطفى غالب ودونه في مقدمات التحقيق والتأليف برهان على سعة الادراك المعرفي عنده فضلا عن انفتاح الافكار الفلسفية لديه والتي بلورها وفق منظوره للتصدي للعديد من قضايا العقائد الدينية والمذهبية الشائكة والتي تثير جدلاً ونقاش كعلاقة الدين بالحياة.

المخطوطات الاسماعيلية التي حققها :

١-البيان لمباحث الإخوان (الشاذلي)	سلمية	١٩٥٦
٢-رسالتان اسماعيليتان (حسن المعدل)	سلمية	١٩٥٦
٣-راحة العقل (الكرماني)	الاندلس	١٩٦٨

٤-المصابيح في اثبات الامامة (الكرماني) حمد ١٩٦٨

٥-المجالس والمسايرات (النعمان) حمد ١٩٦٩

٦-الاقوال الذهبية (الكرماني) محيو ١٩٧٧

٧-مناقب المولى سنان (أبو فراس) اليقظة ١٩٦٧

٨-البنت الشريف (الجعفي) الاندلس ١٩٦٧

٩-اثبات الإمامة (ألأنيسابوري) الأندلس ١٩٨٢

١٠- اختلاف اصول المذاهب (النعمان) الأندلس ١٩٧٣

١١- أربع كتب حقانية (عدة دعاة)الجامعية ١٩٨٤ (غالب غ.، د.ت، صفحة ٣٢)

١٢- رسائل الكرماني (الكرماني) الجامعية ١٩٨٤ (الشـــادلي ا.، ١٩٥٦، صفحة ٣)

١٣- زهر المعاني (القرشي) الجامعية ١٩٨٤

١٤- تفسير القرآن، الكريم – ابن عربي الأندلس ١٩٦٨ جزآن

١٥- الرضاع في الباطن (أبن منصور اليمن) الجامعية ٢٠٠٠

١٦- الافتخار (السجستاني) المكتب التجاري ١٩٦٥

١٧- الينابيع (السجستاني) الأندلس ١٩٨٢

١٨- أسرار وسرائر النطقاء (أبن منصور) الاندلس ١٩٨٢

١٩- الكشف (ابن منصور) الأندلس ١٩٨٢

٢٠- دامغ الباطل (علي بن الوليد) عز الدين ١٩٨٢

٢١- الرسالة الجامعة (ألإمام احمد) صادر ١٩٧٤

٢٢- عيون الأخبار السبع ٤-٥-٦- (القرشي) ١٩٧٣-٧٥-٨٢

٢٣- كنز الولد (الحامدي) فرائز شتايز المانيا ١٩٧١

٢٤- المجـالس المؤيديـة (المائـة ١-٢-٣-٤) دار التـراث الفـاطمي والانـدلس ١٩٧٤-١٩٨٢ (غالب غ.، د.ت، صفحة ٧٣).

٢٥- الهمة في اتباع الأئمة (النعمان) الهلال ١٩٧٩

٢٦- الدرر الثمينة (النعمان) الهلال ١٩٧٩

٢٧- سيرة جعفر الحاجب (أليماني) الغدير ١٩٥٧

٢٨- ديوان حسن المعدل الغدير ١٩٥٧

المؤلفات الفكرية العامة :

١-تاريخ الحزب الشيوعي السوري الغدير سلمية ١٩٦٣

٢-بسم الله الشيوعية كفى الغدير سلمية ١٩٦٤

٣-النهضة العربية الحديثة ثلاثة اجزاء الغدير سلمية ١٩٥٧

٤-فلاسفة من الشرق والغرب حمد بيروت ١٩٦٨

٥-عباقرة الأدب حمد ١٩٦٧

٦-فحول الشعر حمد ١٩٦٨

٧-معرفة علم النفس حمد ١٩٦٨

٨-الاعلام الخمسية للشعر الاسلامي (تحقيق) عز الدين ١٩٨٢

٩-الحلاج عز الدين للطباعة ١٩٨٤

١٠- جلال الدين الرومي عز الدين ١٩٨٤

١١- السهروردي عز الدين ١٩٨٤

١٢- السلسلة النفسية (٢٥ كتاب) صغير الحجم، مخصصة للشباب.

١٣- السلسلة الفلسفية (٢٤ كتاب) غير الحجم، مبسطة للمعلومات (غالب غ.، د.ت، الصفحات ٣٢-٣٥).

واستمر الدكتور مصطفى غالب طيلت فترة حياته يؤلف الكتب ويحقق المخططات حيث وهب حياته بالدفاع عن الفرقة الإسماعيلية حتى آخر ايامه.

فقد توفي في الحادي والعشرين من آب ١٩٨١ في مدينة بيروت نتيجة أزمة رئوية حادة، ،ثم نقل جثمانه الى مدينة سلمية في سوريا ليدفن فيها في الثالث والعشرين عام ١٩٨١ وبذلك تنتهي آخر ورقات حياة كانت مليئة بالمعرفة والابداع والانتاج الفكري (غالب غ.، د.ت، صفحة ١٢٥) (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٧، صفحة ١٢٤).

أراءه بالمعرفة والابداع :

كان يرى ان عملية الابداع عندما سؤل عنه؟ ان الابداع له عشر وحدات:

١-جوهر (ذات) وهو المعنى الذي تدل عليه الصورة.
٢-عرض (ظاهرة الصورة في تشكيلها بين الحقيقة ونظر للناس).
٣-المكان وهو : حيز الايقاع (والايقاع حركة موجبة تنتشر في مكان متوهم دون ان تبرح الشكل الذي يقهرها بضيقة).
٤-الزمان (وهو حركة الصورة في المكان وكينونة الموضوع قبل تقيده بشكل).
٥-الكم (وهو المقادير التي تشكل عنها الشكل دون الموضوع).
٦-الكيف (وهو توقر الذات في ثباتها البرزخي المتدفق في التجليات).
٧-الوضع (وهو الرابط بين الكم والكيف).
٨-الاضافة (وهو تعدد زاوية الموضوع رغم نسبته لذات واحدة او وهو الخيال في الصورة).
٩-ديمومة الحركة في الصورة (ايجاد مستمرا لها باستمرار عملية الخلق وهو انعكاس للانفعال الذي ولد الصورة وهو انفعال حب يجعل الصورة معشوقة ابداً).
١٠- أثر الصورة (وهو رزقها وحياتها من خلال الانفعال بها وفعلها في مبدعها ومتلقيها) (غالب غ.، د.ت، الصفحات ٤٨-٤٩).

اراءه بالمستشرقين:

كان يوقر ويحترم ويقيم المؤرخين والباحثين لا على اساس العرق واللون والدين والمذهب بل على قدر عطائه الفكري وامانته العلمي في نقل النصوص فضلا عن حياديته وانصافه في معالجة القضايا التاريخية العقدية، فكان للمستشرقين نصيب عند مصطفى غالب فأشاد بمجموعه منصفين كان لهم دور فعال في اظهار ونقل العديد من المخطوطات والوثائق التي تخص الاسماعيلية والفاطميين. وفي مقدمتهم ايفانوف اذ قيمه لأبحاثه القيمة واعترافا بجهوده العلمية المستمرة، والتي كان لها الفضل العظيم، على الدراسات الاسماعيلية الحديثة، (الشادلي ا.، ١٩٥٦، صفحة ١)

وأشاد بماسينون الذي اكتشف الحلاج وأبرز إنجازاته كحقيقة دينية ثابتة، كما أشاد بهنري كوربان وغيره لأسباب لاتقل أهمية عن الذين كتبوا حول العقيدة الإسماعيلية بحياد تام

مما ساهم في إظهار تلك العقيدة للمجتمع العلمي الناهد لمعرفة الحقيقة أينما كانت. (غالب غ.، د.ت، صفحة ٥٦)

اراءه بالتطوير العلمي:

يقول: مصطفى غالب الشكل يطرا عليه التغيير والتبدل تحت الظروف المتفاعلة معه فيصاب بالتغير والتبدل باتجاه الشيخوخة والوهن، فيأتي التطوير المنظم ضمن اطر القران الكريم وأقوال الأئمة من أهل بيت رسول الله فيتجدد الشكل وتعود له الصفوة والنقاء والفاعلية المجدية والمعهودة، لذا هو يحث على التطوير بهمة ونشاط بعيداً عن اليأس والاستسلام، مؤمناً بأن الغد لن يبنيه إلا شباب متعلم مثقف قوي الهمة والشكيمة، ويصر على الاستفادة والترقي في جميع العلوم (غالب غ.، د.ت، صفحة ٦٨)

المنهج التاريخي عند مصطفى غالب :

هيمنت الاحداث السياسية على الحياة العامة وتحكم مؤرخين غير مهنيين على حساب التاريخ الفاطمي في تردي الكتابة التاريخية : لان اغلب من كتب عن الإسماعيلية استقى مصادرهم من اعدائهم سواء العباسيين او من حذا حذوهم لأن تاريخنا العربي منذ فجره وحتى اليوم لم يكتب بال روح العلمية وبالمنطق المنهجي
الأكاديمي بل كتب بالمذهبية والعصبية والعرقية والعشائرية

الا ان العصر الحالي لا يخلو من مؤرخي يمتلكون الابداع والمهنية العلمية هم الذين تركو بصماتهم في حقل الكتابة التاريخية ومنهم الدكتور مصطفى غالب والذي تميز منهجه التاريخي بالنقد والتحليل والاستنتاج عند التأليف فضلاً عن نقل الروايات وصياغتها باسلوب تعليمي.

ويرى الدكتور مصطفى غالب ان كل الاراء والاحكام التي صدرت ضد التراث الفاطمي جاءت من مؤلفات مصادر الخصوم، جميعها احكامها مضطربة مشوهة متناقضة لا تعكس واقع الفكر الباطني ولم تتعطي صورة نقية عنه (غالب م.، الحركات الباطنية في الاسلام، ١٩٦٦، صفحة ٧) ولهذا يؤكد مصطفى غالب على حد قوله [وعلى ضوء ما كتب

سأتناول بالبحث بعض المعتقدات الاسماعيلية معتمداً على التجرد والنزاهة وخدمة العلم والحقيقة] (غالب م.، تاريخ الدعوة الاسماعيلية، ١٩٦٥، صفحة ٢٦).نستنتج من ذلك ان مصطفى غالب لم يسلم لكل ما كتب عن الاسماعيلية بل تعامل مع النصوص بتجرد علمي بعيد عن ميوله واتجاهاته وهذا ما يبحث عنه المنصفون .

وتبين من كلامه فهو ينتمي إلى المدرسة الواقعية التي تؤمن بالتحليل التاريخي وتبين ان للبحث التاريخي طرائق عديدة منها (الطريقة الانشائية والطريقة الوصفية والطريقة الاحصائية والطريقة التحليلية) (النقيب، ١٩٩٩، الصفحات ١٣٧-١٣٩).

وعلى الرغم من تأثر اغلب المؤرخين بهذه الطرق الا ان الدكتور مصطفى غالب اختط اسلوب شيق للبحث مكون من التحليل والتعليم والنقد والترجيح.

وقسم اسلوبه بانه تعليمي بسط فيه رموز واشارات العلوم العرفانية لكي تتمكن اكبر شريحة من فهمها واستيعابها والاستفادة منها (غالب غ.، د.ت، صفحة ٦٤).

وقد سعى جاهدا الى الاهتمام بالتراث الاسماعيلي بمنهج جديد قائلا [انهج نهجا جديداً في دراساتي الاسماعيلية ، فأوجه اهتمامي الى اعماق المخطوطات الفلسفية الاسماعيلية المعقدة لاستجلاء كنهها ، واظهار حقيقتها بعد أن انتقلت من أيدي اصحابها إلى أيدي غريبة عنها كادت أن تشوه حقيقتها وتضيع معالمها ، بصراحة أن أيدي بعض المحققين أوشكت أن تلعب. دوراً كبيراً في تشويه معالم بعض الآثار القيمة] (الشادلي ا.، ١٩٥٦، صفحة ٧)ونلاحظ من قوله انه من اوائل المحققين الذين شذبوا الروايات المغلوطة عن الاسماعيلية بمنهج ميسر بسيط معتمد على ما موجود لديه من مصادر اسماعيلية صحيح .

سمات الكتابة لدى مصطفى غالب :

يعتبر من المجددين حيث غير النظرة السابقة التي كان يعتمد عليها المؤلفين في اخذ روايتهم من مصادر اعداد الفاطميين والمخالفين لهم. وهو من المساهمين في تقديم عقيدة الدولة الفاطمية كفكر وعقيدة إلى المحافل (عزوز، ٢٠١٦).

يرى ان بعض الايدي قد عبثت ولا تزال تعبث في تراثنا الفكري، خاصة ما يتعلق بفكر الفرق الباطنية السرية، فتلاعبت تلك الأيدي الغير أمينة بنصوص المخطوطات فغيرت وبدلت بدون رادع من ضمير أو وازع مناقبي (الحفصي، ١٩٧٧، صفحة ٨).

لذا كان دقيقاً في التحقيق فيذكر أصل صاحب المخطوطة ويذكر النسخ واماكن تواجدها ويبين إلى أي دور من أدوار التاريخ الفاطمي (الشادلي، ١٩٥٦، الصفحات ١٣-٤٠). فضلاً عن ذلك كان يتوخى الأمانة في النقل إذ يقول (وقد توخينا الامانة والصدق والبحث العلمي الصحيح بعيدا عن التعصب والمحاباة في نقل الوثائق والمصادر التاريخية الخاصة بالتراث الفاطمي) (غالب م.، اعلام اسماعيلة، ١٩٦٤، صفحة ٦).

اتسم منهج مصطفى غالب بالشمول سواء بالتحقيق أو التأليف في كل المواضيع حيث يعطي وصفاً وافياً دقيقاً في المقدمة عن الكتاب المحقق إذ يبسط المادة وفحواها بأسلوب سلس للقاري وهو بذلك يزيل الغموض الذي يكتنف الاسرار الخاصة بالدعوة الإسماعيلية ويحببه للقارئ.

فنجده يذكر صاحب المخطوطة (مكان دفنه باليوم والسنة ويبين مكانة المترجم له (صاحب المخطوطة) العلمية والمناصب التي تسلمها، فضلاً عن ذلك يستشهد بالشعر لتبيان مكانة المترجم له (غالب م.، اربع كتب حقانية، ١٩٨٧، الصفحات ١-١٣) ووفق ذلك نستنتج ان مصطفى غالب يفسر ويوضح كل غموض يشوش على القارئ في المقدمة.

دوافع مصطفى غالب بالتأليف :

تعد دراسة الدوافع التي اتك عليها مصطفى غالب في مصنفاته ضرورة قد تعين الباحث على معرفة منهجه واتجاهاته الفكرية في الكتابة والتأليف فضلا عن رؤيته في بلورة موضوعاته وفائدتها العلمية، على اعتبار ان الدوافع وسيلته مهمة في توضيح ما تنطوي عليه تصوراته الشخصية حول وظيفة التاريخ والغاية منه (الدوري، د.ت) فلا بد ان مصطفى غالب قد وضع امامه مجموعة من الدوافع نصب عينه ليهتدي بها اثناء التأليف تتمثل بالدافع العلمي والديني والسياسي والاجتماعي والذاتي يعتبراها اجزاء مهمة لدى الكاتب وهدف ضروري لتكوين فكرته وبلورتها لتحديد الاتجاه المبتغى للموضوع.

وقد نرى ان التأثير السياسي كان له الأثر البالغ والدافع الأقوى (العزاوي، ١٩٩٣، صفحة ٣٥) لدى مصطفى غالب بالكتابة لان اغلب من كتب عن الإسماعيلية كان يكتب بنفس العباسيين الذين حاولوا تكفيرهم والتنكيل به والنيل منهم من اجل التفرد بالسلطة والزعامة.

فغير النظرة السابقة في الكتابة والتي تعتمد على اخذ المعلومات من مصادر اعداء الفاطميين والمناوئين لهم فاعتمد على المصادر الإسماعيلية الاصيلة ولهذا يعد مصطفى غالب من المجددين بالكتابة والتأليف الاسماعيلي (عزوز، ٢٠١٦، صفحة ٣).

ولهذا استخدم المنهج النقدي في تشذيب النصوص فتسم اسلوبه بالترجيح والنقد لبعض الروايات التاريخية إذ كان ناقداً ومحللاً ومستنتجاً فكان يخطئ فريقاً من المؤرخين ويصوب فريقاً أخر، وهذا دليل على تبصرة في التاريخ الإسماعيلية وتعطي الباحث صورة عن اهمية المنهجية العلمية بالتحري والاستقصاء والتاريخ ورواياته.

فضلاً عن ذلك استخدم المنهج المرحلي الذي يؤرخ لمرحلة محددة فقد كتب عن الاسماعيلية وكل ما يمتها (عبد الرحمن، ١٩٩٥، صفحة ٣٢٠) فسعى إلى وصل الاخبار حيث اسقط الاسانيد والعناية بنظم المادة التاريخية وتوحيدها (الوافي، ٢٠٠٨، صفحة ١٧٧) فهو يعتمد على ما موجود لديه من مصادر اصيلة خاصة به لا يشير اليه الا في بعض الاحداث لان العقائد الإسماعيلية لا تؤمن بالإفصاح عن اصحاب هذه المصادر لغير اصحاب الفرقة، ولهذا اخضع كتاباته التاريخية والخاصة بالإسماعيلية للفلسفة والمنطق فضلا عن الوازع العقائدي وبثها في منهجيته ودوافعه.

وقد اكد مصطفى غالب على الاهتمام بالنصوص وتدقيقها لما تحمله من امانة علمية دقيقة إذ يقول استغرقت مدة طويلة في التأليف حيث ابحث وادقق في كل نص اعثر عليه خلال مطالعاتي وابحاثي فاجمعه واصنفه حتى استعين فيه عندما اشرع في تأليف الكتاب (غالب م.، مفاتيح المعرفة، ١٩٨٣، صفحة ١٢).

فضلا عن ذلك كان يؤمن بان كل كلمة أ، بحث في ميدان العقيدة يجب ان ينطلق من مفهوم عقلاني وتصور حسي قائم على التحليل العلمي الفلسفي الموثوق (غالب غ.، د.ت، صفحة ٦٣).

وكان يعيب ويستنكر من يحقق المخطوطات الفاطمية ويتلاعب بالنص والشكل والمضمون (غالب غ.، د.ت، صفحة ٤٨) لأن النص مقدس وله ومكانة كبيرة لان الاحكام والقرارات تصدر على ضوؤه والتي يكون لها تأثير بالمجتمع و فئاته وتميز دوره في الحد من

اللعب بمضمون المخطوط مثل ما عمل بكتاب الايضاح الذي تحول إلى كتاب شجرة اليقين وكتاب الهفت الشريف الذي تحول إلى الهفت والاظلة (غالب غ.، د.ت، صفحة ٤٦).

وهذا دليل على ان مصطفى غالب كان محايد في النقل والتحقيق لا نه يتعامل بالأسلوب العلمي الذي يجنب الباحث ويبعده عن الميول والاتجاهات العقدية.

كان اهتمام مصطفى غالب بالكتابة والتأليف نابع من بيئته ومدينته التي تعد مهد انطلاق الدعاة فضلا عن تأثره بالأئمة الفاطميين وولائه لهم واتباع نهجهم الدال على احترام الكتاب وتقدير كاتبه عادة جرى عليها الخلفاء الفاطميون، ويروى عن الخليفة العزيز: إنه كان يتفقد المكتبة الضخمة كل أسبوع، ويدخلها وهو حافي القدمين احتراما للحرف والكلمة ويسير بينها منتشياً منشرح الصدر وكأنه (في بستان بديع الأزهار والفواكه) يمتع نظره بين رفوف المجلدات والمخطوطات التراثية علماً أن محتواها ليس لمذهب معين بل هي حاوية لكل تراث فكري ثقافي حضاري للأمة الإسلامية بكل فروعها ومذاهبها (غالب غ.، د.ت، صفحة ٤٧)

وقد ذكر المقريزي أن الحاكم بأمر الله أنشأ داراً للحكمة، وحمل إليها الكتب من سائر العلوم، ووقف عليها الأوقاف، وسمح لجميع الناس بارتيادها، كما شيد داراً للعلم أصبحت نادياً ومركزاً علمياً مهماً يؤمه العلماء بشتى تخصصاتهم، يمكن أن نقول عنها أول جامعة أنشئت بالعالم (المقريزي، ١٩٦٧، صفحة ٥٦) (زيود، ٢٠٠٧، صفحة ٢٣٠)

وكان الحاكم يحرص على الاجتماع بكل طائفة من العلماء على حدة ليتناظروا بين يديه ولا شك بأن هذه الأجواء ساعدت على ازدهار العلوم وتقدمها كما غدت مصر قبلة العلماء الذين توافدوا عليها من شتى أنحاء العالم الإسلامي.

الاماكن التي استقى منها مصادره

اهم مصدر استقى مصطفى غالب مصادره منه هو مدينة سلميه اول اماكن الإسماعيليين فضلا عن اسرته المتمثلة بوالده وعمه والدعاة الذين كان لهم العديد من المصادر الخاصة بعقائدهم، وهذا ماشارااليه في كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية"كما أنه يسرني أن أرفع جزيل الشكر لجميع من شجعوني وآزروني في عملي هذا وسهلوا لي مهمتي الشاقة حتى جاء عملي كما ترى . وأخص بالذكر منهم سيدي الوالد (مكي) الطائفة الاسماعيلية في سوريا الذي نفح في العقيدة الاسماعيلية وحبب إلى هذه الدراسات مذ كنت صغيراً...وأعضاء المجلس الاسماعيلي الاعلى ، لتسهيلهم مهمتي ووضع جميع الامكانيات والوثائق تحت تصرفي .... والشيخ سليمان الشيخ ابراهيم من

قرية(بري الشرقي) الذي وضع بين يدي جميع ما يملكه من مخطوطات نفيسة كانت أكبر عون لي في أبحاثي ، فإليهم جميعاً تقديري واحترامي. (غالب، ١٩٦٥ص٢٣) ولم يكتفي بهذه الاماكن بل كانت تطلعاته اكبر، كما يذكر الباحث غالب المير غالب ان مصطفى غالب كان يهاجر من بلده قاطعاً الفيافي والقفار ومجاهداً بماله ودمه وروحه إلى أن بلغ ما تمناه، وهو الحصول على مكتبة للمخطوطات التراثية الإسلامية، هذه المكتبة التي ذاع صيتها في العالم كله، بحيث تجاوزت في العد مئة وسبعة وأربعين مخطوطاً لكبار الفلاسفة والمفكرين المسلمين مما بوأه منزلة رفيعة بين المستشرقين العالميين أمثال إيفانوف وماسينون، وكوربان، وبرنارد لويس وغيرهم. حتى إن جامعة استكهولم في السويد، منحته رتبة الدكتوراه الفخرية لتحقيقه كتاب – كنز الولد – لمؤلف مسلم بهري إبراهيم الحامدي" وكذلك فعلت مؤسسة الدراسات الإستشراقية في لندن إذ منحته درجة الدكتوراه الفخرية أيضاً اعترافاً بمجهوده الكبير في بعث المخطوطات التراثية الإسلامية إلى عالم الوجود وبذلك فقد كان فضله علينا كبيراً جداً لعطائه الثمين.(غالب، د.ت، ص١٢٨)ويبين لنا مصطفى غالب انه اعتمد على الاثار والمخطوطات التي خلفها الدعاة في القلاع والحصون في مصياف وسلمية(غالب، ١٩٦٤، ص١٦) ومن ما ذكر نستنتج ان مصطفى غالب سعى وبذل الكثير من الجهد والعناء للبحث عن المخطوطات والوثائق وامتلاكها في شتى بقاع المعمورة من اجل الحقيقة وسبل اثباتها.

نقل لنا مصطفى غالب جوهر عقائد الإسماعيلية من علوم الظاهر والباطن وبين مراتب الدعوة الاسماعيلية(غالب، ١٩٦٤، ص٢٧) فضلا عن الوظائف الدينية والكثير من علومها ويعود السبب بذلك لاطلاعه على امهات المخطوطات وتحقيقها ،وهذا ما جعله يطلع على الكثير من اسرار الإسماعيليين عن طريق دعاته، ويلاحظ القاري الفرق بين من يحقق المخطوط وهواه وميوله مخالف للإسماعيليين وبين من يحكم العقل والمنطق ويلتزم بالامانة والصدق والتجرد بالبحث العلمي الصحيح عند الكتابه عنهم.

وخير دليل على ابداع مصطفى غالب وابداعه في نقل التراث الاسماعيلي الفاطمية الكم الهائل من النتاجات الفكرية التي ذكرت في مقدمة البحث والتي جعلته ايقونة لكل من بحث اوكتب عن الإسماعيليين ودولتهم الفاطمية التي اسسوها طيلة قرنين ونصف القرن من الزمن.

الخاتمة

تبين الباحث من خلال البحث في الموضوع اعلاه جملة من الامور.

١-تبين ان البيئة التي ولده فيها مصطفى غالب كان لها الأُثر في سقل موهبته وابداعه فضلا عن عائلته التي تنتمي للإسماعيلية.

٢-ابدى مصطفى غالب راية بالنسب الفاطمي وتأكيده انهم ينتمون إلى بيت النبي.

٣-تميز مصطفى غالب بمنهجه التاريخي والذي اعتمد فيه على الدقة والايجاز بالمعلومات التي يذكرها.

٤-تميز مصطفى غالب بمقدره على نقد النصوص التاريخية والتعليق عليها وابداء الرأي وهذا موجود في اغلب مقدمات كتبه المؤلفة والمحققة.

٥-يعد مصطفى غالب من رواد المدرسة التاريخية في العالم العربي، إذ اثرى المكتبة بالعديد من الكتب والبحوث.

٦-اعتمد مصطفى غالب على المنهج العلمي القائم على التحليل والاستنتاج واستخلاص الحقائق.

٧-يعود لمصطفى غالب الفضل لما وصلنا من معلومات عن فترة التستر والكتمان الاولى الخاصة بالأئمة في سلمية من خلال كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية.

٨-تميزت مصادره بالدقة والأمانة العلمية، لاخذها من دعاة قسم كان موجود بسلميه والاخر نقل اليه منهم .

٩-يعد تراث مصطفى غالب ومصنفاته ثروته فكرية للمكتبة الإسلامية بصوره العامة والاسماعيلية بصوره خاصه فاقة كتبه التسعين كتابا .

المصادر :

١- أبو القاسم عبد الله ابن خرداذبة. (١٩٩٩). المسالك والممالك. بيروت: دار صادر.

٢- احمد بن المهلبي. (٢٠٠٦). المسالك والممالك. (جمعه : تيسير خلف، المحرر) دمشق.

٣- الداعي الاجل ابو منصور اليماني الشادلي. (١٩٥٦). البيان لمباحث الاخوان (المجلد ط٢). (تح : مصطفى غالب، المحرر) سوريا.

٤- المفضل بن عمر الحفصي. (١٩٧٧). الهفت الشريف (المجلد ط٢). (تحقيق : مصطفى غالب، المحرر) بيروت: دار الاندلس.

٥- جعفر بن منصور. (١٩٨٤). سرائر واسرار النطقاء. (تحقيق وتقديم : مصطفى غالب، المحرر) بيروت: دار الاندلس.

٦- حسن بن نوح البهروجي. (١٩٥٨). الازهار وجمع الانوار – منتخبات اسماعيلة. (نشر عادل العوا، المحرر) دمشق: مطبعة الجامعة السورية.
٧- خضر عبد الرحمن. (١٩٩٥). المسلمون وكتابة التاريخ. د.م: المعهد العالي للفكر.
٨- عبد الرحمن حسين العزاوي. (١٩٩٣). التاريخ والمؤرخون في العراق. بغداد: وزارة الثقافة والاعلام.
٩- عبد العزيز الدوري. (د.ت). التاريخ العصر الحاضر.
١٠- غالب المير غالب. (د.ت). غدير المعرفة من سلمية إلى بيروت. د.ت.
١١- زيود، محمد، (٢٠٠٧)، مركزية سلمية بالدعوة الاسماعيلية، مجلة دراسات تاريخية.
١٢- فرهاد دفتري. (٢٠١٣). تاريخ الاسماعيلية الحديث. (ترجمة : سيف قصير، المترجمون) بيروت: دار الساقي.
١٣- مجموعة مؤلفين. (٢٠١٧). الاثار والتراث في سلمية (المجلد ط١). سلمية: نشر جمعية عاديات سلمية.
١٤- محمد عبد الكريم الوافي. (٢٠٠٨). منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب. ليبيا: منشورات جامعة قار يونس.
١٥- محمد عزوز. (٢٠١٦). نفحات القلم، في ذكرى ريحل الباحث مصطفى غالب. مجلة الكترونية.
١٦- محمد فرحات. (١٩٨١). مصطفى غالب حامل التراث الاسماعيلية وناشره. جريدة السفير، د.ع.
١٧- محمود امين. (١٩٨٣). سلمية في خميس قرناً. سلمية: مطبعة كرم.
١٨- مرتضى النقيب. (١٩٩٩). المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي. بغداد: مطبعة جامعة بغداد.
١٩- مصطفى غالب. (١٩٦٤). اعلام اسماعيلة. بيروت: دار اليقظة العربية.
٢٠- مصطفى غالب. (١٩٦٥). تاريخ الدعوة الاسماعيلية. بيروت: دار الاندلس.
٢١- مصطفى غالب. (١٩٦٦). الحركات الباطنية في الاسلام. بيروت: دار الاندلس.
٢٢- مصطفى غالب. (١٩٨٣). مفاتيح المعرفة. بيروت: مؤسسة عز الدين.
٢٣- مصطفى غالب. (١٩٨٧). اربع كتب حقانية. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.
٢٤- المقريزي، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: جمال الدين الشيال، لجنة احياء التراث الاسلامي، (القاهرة،)
٢٥- ياقوت الحموي. (د.ت). معجم البلدان (الإصدار ج٣).